الراصد

شؤون عربية

2016/05/19م

1437 هـ - 2015م

مسار النخبة
ELITE TRACK

المحتويات

الشعوب العربية والتغيير.. التطلعات الباقية والاحتجاجات القائمة..... 3

الجامعة العربية ترحب بمبادرة السيسي التي تدعو "لأمان إسرائيل" 5

رئيس MI6 السابق: السعودية حلت مكان العراق ومصر وسوريا سياسيا..... 6

نصر الله إذ يستعين بجنرال أمريكي متقاعد!! 6

مائة عام على سايكس . بيكو..... 7

الشعوب العربية والتغيير.. التطلعات الباقية والاحتجاجات القائمة

سلامة كيلة العربي الجديد 19\5\2016

تعود أجواء سنة 2011 لتسيطر على المشهد، فقد حدثت تحركات كبيرة في عدة بلدانٍ شهدت ثورات. ظنَّ قطاع ممن شاركوا في الثورات أن ثوراتهم فشلت، وأن التغيير يبدو مستحيلاً. هذا ما عزَّز الميل إلى اليأس والعودة إلى اللامبالاة، أو حتى الكفر بالثورة. ليس الحديث، هنا، عن معظم الأحزاب والنخب التي "شاركت" في الثورات الأولى، حيث التحقت بالنظم "الجديدة" أو مالأتها، وباتت معنيةً بوقف كل حراكٍ شعبي، وكل احتجاج، مكرّرة ما كان يقوله إعلام النظم نفسه: هذه احتجاجات فئوية. وأصبح شعارها هو السكينة، وكسب ما يمكن كسبه من "النظام الجديد"، أو حصر "الصراع" بنشاطها البرلماني، وبياناتها، من دون حاجةٍ إلى إضرابات أو تظاهراتٍ تجاوزها الزمن.

الأخطر كان يتمثل في يأس فئات شبابية من الطبقة الوسطى، ظنّت أن الانتصار ممكن بشكل سريع، وأن الأمر بسيط بلا تعقيد. وهذه فئات نشدت الحرية والديمقراطية بالأساس، حيث كانت تريد أن "تعبّر عن ذاتها"، من دون تعقيدات سلطوية، واحتمالات قمع وسجن، وأن يكون لها رأي في "الشأن العام". ولم تكن في وضع معيشي سيئ، مثل طبقاتٍ شعبية كثيرة، بل كانت قادرة على العيش الجيد. تعبت، وانكسر حلمها بتغيير سريع، فمالت إلى الانكفاء في حالة يائسة. لكن موجات الاحتجاج عادت تتصاعد، بعد انتظار تحقيق مطالب بسيطة، ثار الشعب من أجلها: أقصد حق العمل لملايين العاطلين عن العمل، وزياد الأجور بما يكفي العيش الكريم، ومجانية التعليم، بعد أن انهار، وبات في الغالب مخصخصاً، وتكريس كفاءته، والضمان الصحي والاجتماعي، ومطالب أخرى، مناطقية أو قطاعية أو مهنية، فقد ناورت النظم من أجل تجاهل هذه المطالب. زادت السيطرة البوليسية، واخترعت "الحرب على الإرهاب" لتحويل الصراع من كونه صراعاً طبقياً إلى كونه صراعاً "وطنياً"، أو "دولتياً"، حيث يصبح الإرهاب "الخطر الرئيسي" الذي يعلو على كل خطر ومطلب، ويصبح الحفاظ على الدولة همَّاً "شعبياً"، بعد أن ظهر ضعف الدول في ليبيا وسورية واليمن، ويكون الخوف من الانجراف إلى حرب أهلية وصراع طائفي وتدمير مجتمعي هو الذي يسكن الجموع، من خلال الضخ المركز من إعلام النظم، وترداد "النخب" الهزلية.

على العكس، ففي ظل التخويف من الإرهاب وانهيار الدولة و"المثال السوري"، جرى الإيغال في اللبرلة، حيث زادت الأسعار، وتراكمت الضرائب الجديدة على الشعب، وأصبحت الخصخصة الخيار الأخير "من أجل إنقاذ البلد". بمعنى أن السبب الذي أفضى إلى انهيار الوضع المعيشي لكتلةٍ ضخمة من الشعب، وزيادة البطالة بشكل كبير، والذي أفضى إلى انهيار التعليم، وسحب دعم الدولة الصحة والتعليم والبنية التحتية، هذا السبب هو الذي ظل النظام حريصاً على الإيغال فيه، في ظل تخويفٍ وممارسةٍ للإرهاب. فقد ثارت الطبقات الشعبية، لأن نسبة كبيرة باتت ملقاة في البطالة (30% تقريباً من القوى العاملة) ونسبة أكبر في الفقر (تصل إلى 40% و50% بالمائة). وبالتالي، لم تعد قادرة على العيش، وتراكمت مشكلات السكن والزواج والتعليم والعلاج. لهذا، أملت في تغيير النمط الاقتصادي، بما يحقق هذه المطالب، لكنها وجدت أن الوضع يسير في المنحَدَر نفسه، وأن وضعها يسوء، وينحدر وضع فئات أخرى من الطبقة الوسطى.

زعم "الحفاظ على الدولة"

كان "لعب" النظم يقوم على عنصرين من أجل التغطية على هذه المطالب أولاً، والاستمرار في لبرلةٍ تفقر الشعب. تمثل الأول في "المسار الديمقراطي"، حيث أعلنت أن الثورة انتصرت، وأن المطلوب الآن هو ترسيخ الديمقراطية عبر المسار الانتخابي، وخلاله، يمكن أن تجد المطالب حلولاً ما (كما يبرّر يسار متلبرل)، وكان هذا يعني الإعلاء من "أهمية الانتخابات" والحرية، وكونها أساس مطالب الثورة. لكن، كان الهدف هو الاستمرار بلبرلة مميتة (أو قاتلة)، والعنصر الثاني، المكمل لذلك هو تحويل الأنظار إلى "الخطر الرئيسي"، كما أشرت، و"توحيد" الشعب والنظام ضد الإرهاب، ومن أجل "الحفاظ على الدولة".

GAZA للدراسات والاستراتيجيات For Studies & Strategies

لم يموه ذلك الأمر على الشعب، على الرغم من أنه كان يتأمل، في بعض اللحظات، برئيس أو حزب. فاستمرت الاحتجاجات، على الرغم من كل القوانين التي صدرت لقمعها، وكل محاولات النظم "الكذب" على الشعب، أو تخويفه بالقوة الفعلية. ونجدها تتوسع الآن، وتتصاعد قوتها. فقد ملَّ الشعب الانتظار، ولم يعد معنياً بقبول تبرير أو تحمل تخويف، أو حتى الخوف من العنف السلطوي، حيث جرّبه سابقاً، وعرف أنه قادر على سحقه وهزيمة النظام.

في تونس، انتفضت جزيرة قرقنة، وشهدت القصرين اعتصامات، كذلك الدهماني، وتونس، تتعلق بالمعطلين، و"المفروزين أمنياً" الذين حاول النظام الالتفاف عليهم بوعودٍ كاذبة. والاحتجاجات تتصاعد في كل مكان، الأمر الذي يشير إلى وصول الأزمة إلى لحظة انفجارٍ جديد، بعد أن انتظر الشعب طويلاً من دون أن يحقق فرص العمل، وزيادة حقيقية في الأجور. وبعد أن زادت أزمات الشعب، بفعل زيادة الأسعار والضرائب، والتوسع في الخصخصة، وتحكم صندوق النقد الدولي في البنك المركزي والسياسة المالية. إننا إزاء لحظة انفجارٍ، لن يغطيها كل الحديث عن "المعجزة التونسية" في المجال الديمقراطي (كما كانت معجزة اقتصادية في زمن بن علي). فالبوليس لا زال هو ما صنعه بن علي، وإذا كان قد تراجع إلى الخلف قليلاً، فقد عاد من جديد في ممارساته نفسها، وما زالت المافيا الرأسمالية تمارس سياستها الاقتصادية كما كانت، ومن دون أي تغيير، وعلى العكس توحشت أكثر.

مصر والعراق.. وسورية

وفي مصر، تصاعدت الاحتجاجات، في الفترة الماضية، في الوسط العمالي، وفي المناطق، وكان واضحاً أن الاحتقان يتصاعد بعد "كشف المستور" في المشاريع الاقتصادية، من دون أن تحلّ، كذلك، مشكلات البطالة والفقر والتهميش. وعلى العكس، زادت كذلك نتيجة زيادة ضرائب الدولة ورفع أسعار الغاز والكهرباء والبنزين، وبالتالي، كل السلع الأخرى، والميل إلى خصخصة التعليم والصحة، ومن ثم انهيار الجنيه، الأمر الذي عنى ارتفاعاً جديداً في الأسعار والأعباء. وإذا كان قانون الخدمة المدنية قد أشعل احتجاج الموظفين (وعددهم كبير) إلى أن سقط، فإن ما حدث لجزيرتي تيران وصنافر بعد التنازل عنهما للسعودية قد "قلّب المواجع"، ليفضي إلى حالةٍ احتجاجيةٍ جديدة، ربما تكسر قانون منع التظاهر، وتفتح إلى انفجار اجتماعي كبير.

يشهد العراق استمرار الحراك الشعبي الذي يرفض الفساد، بعد أن سُرقت مداخيل العراق من النفط، وباتت الدولة عاجزةً عن دفع الرواتب أو زيادة الأجور. لكنه حراكٌ يطاول كلية العملية السياسية، التي شكلها الاحتلال الأميركي، والقائمة على أساس المحاصصة الطائفية. كما يطاول السيطرة الإيرانية على العراق، على الرغم من أنه حراكٌ يجري في المناطق التي تُصنّف شيعيةً، بعد إلهاء المنطقة "السنية" بالحرب ضد داعش، وتدميرها تحت هذه الحجة. وبالتأكيد، إن "اختراع" داعش، والحرب ضدها، بعد سنة من الاعتصام والاحتجاج في المناطق الغربية والشمالية من العراق، هدف إلى تشويه الصراع الشعبي ضد النظام المصنوع أميركياً، والمسيطر عليه إيرانياً، وفكفكته، وإغراق العراق في حروب لا تنتهي. لكن الحراك مستمر، ويمكن أن يفضي إلى إنهاء نظام أقامه الاحتلال، لمصلحة نظام شعبي.

سورية، التي تغرق في حرب متعددة المستويات، مع النظام وضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وجبهة النصرة، وحزب الله وإيران والمليشيا الطائفية العراقية، ومن كل الأصقاع، وتشهد التنافس الإقليمي والدولي الذي يؤثر في طبيعة الصراع فيها، شهدت حال تراجع الصراع المسلح انطلاق التظاهرات الشعبية ضد النظام، وضد جبهة النصرة، في المناطق التي هي خارج سيطرة النظام، وليست تحت سيطرة "داعش"، وهو ما أوضح أن هناك ثورة جرى التغطية عليها، عبر إدخال "جهاديين" وسلفية وأصوليات "شيعية"، وبتدخل دولٍ مثل إيران وروسيا. كما تحركت السويداء التي قيل إنها من "الأقليات" المؤيدة، على الرغم من أن حراكها كان، منذ بدء الثورة، لكنها تعود الآن لكي تقول إن الشعب يريد إسقاط النظام.

GAZA
للدراسات والاستراتيجيات
For Studies & Strategies

انفجارات محتملة

إذن، عادت موجة التظاهرات من تونس إلى مصر والعراق إلى سورية، ولبنان كذلك. ونشهد إضراب عمال النفط في الكويت. وربما نشهد انفجار الاحتجاجات في المغرب والجزائر والأردن ولبنان والسودان. موجة جديدة تذكّر بسنوات الأمل والكرامة، منذ 12/17/ 2010، ربما إلى سنة 2013. سنوات الحراك الشعبي الكبير الذي أدهش العالم، قبل أن يواجَه بالعنف، وتظهر عناصر القصور فيه، وتغرقنا النظم في العنف و"الحرب على الإرهاب"، وليقال إن الثورات فشلت.

ما يجب أن يكون واضحاً هو أن التكوين الاقتصادي، الذي سيطر في البلدان العربية كتابع للطغم الإمبريالية، بعد سياسات الخصخصة واللبرلة، هو الذي فرض إفقار غالبية الشعب وتهميشه، وأن هذا التكوين لا يمكن أن يقدّم خطوة إلى الوراء، لأنه يقوم على نهب متسارع لمافيا حاكمة ليست لديها "المرونة"، لكي تتراجع قليلاً في مهبها (على الأقل كما حدث في ثمانينيات القرن العشرين، بعد الانتفاضات التي ملأت الوطن العربي). فهي تحتاج إلى تراكم متعاظم، لكي تبقى قوةً في السوق، المحلية والعالمية. لهذا تعزّز اللبرلة، وتزيد النهب، وتحمّل الشعب عبء المديونية التي سرقتها، من خلال زيادة الضرائب، وتتحلل من كل دور للدولة، لمصلحة خصخصة شاملة، وتنهي دعم الدولة لكل القطاعات التي دعمتها، من الخبز إلى التعليم والصحة، أكثر من ذلك تغرق في خصخصة كل شيء، كل شيء. لهذا، فهي تسترسل في النهب والإفقار والتهميش. وفي المقابل، ليس من خيار لدى الشعب سوى الثورة.

هذا ما فعله، ويفعله وسيظل يفعله، إلى أن يحقّق التغيير الحقيقي، التغيير الذي يحقق مطالبةً في العمل والعيش الكريم والتعليم المجاني عالي المستوى، والعلاج المجاني والضمان الاجتماعي، والبنية التحتية المتطورة.

الثورة بدأت للتو، ويجب معرفة كيف تنتصر. لا نحتاج إلى اليأس، بل إلى الفهم والوعي والقدرة على رسم طريق التغيير، فهذا ما ينقص الثورة، ويجعلها تتعثر أو تتأخر في تحقيق انتصارها.

الجامعة العربية ترحب بمبادرة السيسي التي تدعو "لأمان إسرائيل"

القاهرة - عربي21 19\5\2016

أبدت جامعة الدول العربية ترحيبها بمبادرة رئيس الانقلاب، عبد الفتاح السيسي، لتحريك عملية التسوية بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.

وقال نائب الأمين العام لجامعة الدول العربية، السفير أحمد بن حلي، في تصريحات صحفية الأربعاء: "نحن نرحب بهذه المبادرة، ونعتقد أنه جاء الوقت لعودة الزخم للموقف العربي، وتحريكه لدعم القضية الفلسطينية".

وقال بن حلي إن "مصر تترأس حاليا القمة العربية، ومن حق رئيس القمة أن يبادر ويتحرك ويطرح المبادرات في هذا الشأن"، معربا عن اعتقاده بأن هذه المبادرة تشكل فرصة لإعادة دور مصر من أجل رأب الصدع بين الفلسطينيين وتحقيق المصالحة الوطنية، منوها في هذا الإطار بالجهد الكبير الذي قامت به مصر وعدد من الدول العربية لإنهاء الانقسام الفلسطيني.

وكان رئيس الانقلاب عبد الفتاح السيسي خصص في خطاب له بأسيوط، الثلاثاء، أغلب حديثه عن الإسرائيليين، وضرورة قيامهم بمنح الأمل (دولة) للفلسطينيين، مقابل الأمن لهم، على أن تكون بضمانات.

واعتبر السيسي أن الإسرائيليين قوم يبحثون عن الأمن والطمأنينة، وطالبهم بالتوافق من أجل الاتفاق على حل للقضية الفلسطينية، مدعيا أن الحالة بين مصر و"إسرائيل" هي الأمن والسلام.

GAZA
للدراسات والاستراتيجيات
For Studies & Strategies

وقال بن حلي: "إننا نريد لهذا الزخم أن يتواصل، وخاصة من قبل مصر"، مؤكدا أهمية ترتيب البيت، وإعادة الوحدة الفلسطينية، وكسر الجمود والدائرة التي تحاول إسرائيل من خلالها تفريغ كل شيء يتعلق بفلسطين وقضيتها، وإجهاض كافة المبادرات التي تتعلق بفلسطين.

وقال بن حلي إن الاجتماع الطارئ لوزراء الخارجية العرب، المقرر يوم 28 أيار/ مايو الجاري، سيناقش ثلاثة موضوعات، أولها القضية الفلسطينية بكافة جوانبها، بما فيها المبادرة الفرنسية، مشيرا إلى أن كل الدول المشاركة في الاجتماع، بما فيها مصر، من حقها طرح أي مبادرات في هذا الإطار.

وأضاف أن اجتماع وزراء الخارجية العرب الطارئ سيناقش أيضا ضمن بنوده تطورات الأوضاع في ليبيا، والتحضيرات للقمة العربية، المقرر عقدها في نواكشوط، في يوليو المقبل.

وفي رده على سؤال بشأن تداعيات تأجيل مؤتمر فرنسا الدولي للسلام، قال «بن حلي»، إن «فرنسا تقوم بجهد وتنسيق كامل مع دولة فلسطين والرئيس محمود عباس (أبو مازن) ومع دول عربية أخرى، كما أن الأمين العام للجامعة العربية في تواصل مستمر مع وزير خارجية فرنسا».

رئيس MI6 السابق: السعودية حلت مكان العراق ومصر وسوريا سياسيا

لندن- عربي21 2016\5\19

قال الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات البريطانية، جون ساويرس، إن المملكة العربية السعودية حلت مكان القاهرة ودمشق وبغداد كمركز للقوة السياسية العربية، والاستقرار، وإن العديد من الأعين تركز على ما يجري في الرياض.

وقال ساويرس لـ"سي أن أن" إن الأنظار تتوجه إلى المملكة العربية السعودية باعتبارها مركزا للقوة السياسية في المنطقة، واستقرارها ليس مهما فقط بالنسبة لسوق الطاقة، بل أيضا بالنسبة للدول الخليجية المحيطة.

وفي الشأن السوري، قال إن ما يجري على الأرض سيحدد اليد العليا على طاولة المفاوضات، وإن تدخل الروس هناك وغياب الغرب يعطي الروس والإيرانيين وضعا أفضل من أوروبا والولايات المتحدة في المفاوضات.

نصر الله إذ يستعين بجنرال أمريكي متقاعد!!

ياسر الزعاترة الدستور 2016\5\19

حين يتخذ السياسي مسارا خاطئا، يكون عليه أن يُكثر من التفسير والتبرير، ويُكثر من الظهور أيضا، وقلنا مرارا إن نصر الله ظهر خلال أعوام الثورة السورية أضعاف ما ظهر منذ توليه قيادة حزب الله قبل عقدين، وخلال الأيام الأخيرة ظهر ثلاث مرات، وهو ما لم يحدث من قبل، وبالطبع لأن المأزق يتعمق، والحاضنة ترتبك، ويغدو من الضروري ترميم معنوياتها.

ولعل أكثر ما أثار السخرية في إطلالته ما قبل الأخيرة (الخميس) هو اضطراره، وفي سياق إثبات نظرية بائسة عن علاقة أمريكا بمن يسميها "الجماعات التكفيرية"، وأن هدفها هو استهداف تيار المقاومة الذي يمثله هو وسيده في طهران "خامنئي" إلى الاستشهاد بهيلاري كلينتون، وبجنرال أمريكي متقاعد، ويفصّل ويتحدث عن ترجمة أقوالهما (وروايات المترجمين!!)، الأمر الذي هبط به إلى مستوى بعض أبواقه ممن يرددون ذات الهراء، ويحلوا لبعض البرامج اللبنانية الساخرة أن تتهكم عليهم بسببه.

بدأ نصر الله القصة بقول التالي: "بعض الناس عندما يخرج سماحة السيد القائد والكثير من المسؤولين والعلماء والسياسيين، ليحمّلوا أمريكا المسؤولية (عمن يسميها الجماعات التكفيرية طبعا)، يخرجون ويقولون: ما ذنب أمريكا؟ هذه

Center for Studies & Strategies
للدراسات والاستراتيجيات
For Studies & Strategies

حركات اسلامية جهادية ومتشددة وبعضها تكفيري. هل هؤلاء يقاتلون لمصلحة الأمريكان ويمشون بمصالحهم؟ هل ممكن أن يتعاون الأمريكيون مع من يحمل هذا الفكر؟ والسؤال الثاني ما الدليل؟".

لاحظوا المقدمة التي تثبت أن ما يقوله أصحابه لا يمر على العقلاء، والحاجة تبعا لذلك إلى تسويقه منطقيا أولا، والإتيان بالدليل ثانيا.

هنا يبشّر أتباعه بأنه سيأتي بشاهد قديم وآخر جديد؛ الشاهد القديم من عام 2009؛ ومن شهادة لهيلاري كلينتون حين كانت وزيرة للخارجية قالت فيها "دعونا نتذكر أن الناس الذين نحاربهم اليوم مولناهم منذ عشرين سنة". ولمزيد من إثارة السخرية قال نصر الله "عندنا من الإخوان واحد ترجم مولناهم، وواحد ترجم أوجدناهم (تخيلوا أية كلمة إنجليزية تحتمل هذا الخلاف في الترجمة؟!).

وما يثير السخرية أكثر أن نصر الله أو من كتبوا له الكلمة نسوا شطب قول كلينتون "الناس الذين نحاربهم"، حسب نقله هو، بينما يقول سيده خامنئي؛ ويردد هو أن العلاقة قائمة إلى الآن، كأن ما يجري من حرب عليهم في العراق وفي سوريا؛ ومن اغتيالات في اليمن والصومال وباكستان وغيرها بطائرات بدون طيار.. كأنها مجرد ألعاب متفق عليها!! أي ابتذال؟! ودعك هنا من سخف "الإيجاد وخلاف الترجمة!!"، كأن المنظمات العقائدية الكبرى تنتج في أقبية المخابرات، وليست نتاج ظروف موضوعية، فيما قد تتلاقى مصالحها مع آخرين، كما التقت مصالح مجاهدي أفغانستان مع أمريكا ضد السوفييت (كان بينهم شيعة هزارة للتذكير).

الدليل الثاني حسب نصر الله "مقابلة مع جنرال أمريكي معروف ومتقاعد (حدد تاريخها وأنها مع سي أن أن لإقناع الجمهور الذي يصفق للقائد الملهم!!).

الجنرال العتيد يقول إن "واشنطن وحلفاءها هم الذين أنشأوا جماعة داعش لمواجهة حزب الله في لبنان". وأن "الهدف من داعش هو تدمير حزب الله"، وأن "واشنطن ساهمت في تسهيل الحملة الإعلانية الترهيبية لجرائم داعش".

بالله عليكم، هل يمر هذا الكلام على عقول الأطفال، فضلا عن السياسيين، وهل قاتل تنظيم داعش الأمريكان، وساهم في إخراجهم من العراق لأجل استهداف حزب الله لاحقا؟!

أليس مثيرا للسخرية أن يهبط خطاب قائد بهذا الوزن إلى مثل هذا المستوى السخيف، وكل ذلك من أجل تبرير تورط حزبه في قتال شعب ثار ضد دكتاتور فاسد؛ أسوة بشعوب أخرى سبقته ضمن سياق ربيع العرب؟!

مائة عام على سايكس . بيكو

<u>د. بشير موسى نافع</u> القدس العربي 2016\5\19

جاء الاهتمام بالذكرى المئوية لتوقيع اتفاقية سايكس . بيكو أكبر من المتوقع. أعمال وثائقية بالعربية والإنجليزية؛ فصول هامة أو كتب، سيما باللغة الإنكليزية؛ مؤتمرات وندوات؛ وعشرات، وربما مئات، من المقالات والتعليقات، نشرت خلال الأسابيع التي سبقت 16 أيار/مايو. في الفضاء العربي، كان للتذكر طابعاً رصيناً هذه المرة، واختفت مظاهر جلد الذات التي تواكب عادة إحياء المناسبات التاريخية البغيضة. بعض مما نشر، حاول اكتشاف العلاقة بين ميراث النظام الإقليمي الذي ولد من الحرب الأولى وما يشهده المشرق العربي . الإسلامي اليوم؛ بعضه حاول إعادة النظر في الوعي الجمعي بالحرب الأولى وعواقبها لدى شعوب المشرق؛ بعضه احتوى أخطاء فاحشة؛ وبعضه وفر أدلة صلبة على ضرورة إعادة النظر في ما استقر في وعي الشعوب المنطقة بتلك الحقبة بالغة الأهمية. هنا، عدد من المسائل التي تستحق أن تلفت الانتباه، سواء للمتخصصين، أو لعموم العرب.

Center for Studies & Strategies
GAZA
للدراسات والاستراتيجيات
For Studies & Strategies

أولاً، أن سايكس . بيكو لم تكن اتفاقية لتقسيم الدول العربية، فلم تكن هناك آنذاك دول عربية، بل اتفاقية لتقسيم الممتلكات العثمانية، بما في ذلك ولايات الأغلبية العربية. ولم تكن سايكس . بيكو الاتفاقية الوحيدة بين دول الوفاق، خلال الحرب الأولى، لتقسيم البلاد العثمانية، ولكنها الاتفاقية الأبرز. قبل سايكس . بيكو، في آذار/مارس 1915، توافقت بريطانيا وفرنسا وروسيا، في العاصمة الروسية بتروغراد، في ما عرف باتفاقية القسطنطينية، على منح روسيا القيصرية ممر المضائق العثمانية وما يجاورها من أراض، بما في ذلك اسطنبول. ويمكن القول أن إصرار الروس على الحصول على موافقة الحليفتين الأخرتين في الحرب على المطالب الروسية، كان السبب الرئيسي في بدء دراسة لندن لما تمثله المصالح البريطانية في المشرق، والسبب خلف مطالبات باريس الملحة للتوصل إلى اتفاق بين بريطانيا وفرنسا على تحديد مصالح الدولتين.

ثانياً، استمرت مباحثات البريطاني مارك سايكس والفرنسي فرانسوا جورج بيكو لأسابيع قليلة، وانتهت بالفعل إلى صيغة اتفاق في 3 كانون ثاني/يناير 1916، ولكن التوقيع الرسمي تأخر إلى 16 أيار/مايو، انتظاراً لموافقة وزارة الحرب والدوائر البريطانية المهتمة بالشرق الأوسط. وكما هو معروف، فإن الاتفاقية تضمنت تقسيم ما يعرف اليوم بالمشرق العربي وجنوب تركيا إلى مناطق إدارة مباشرة فرنسية أو بريطانية، ومناطق نفوذ لكل بين الدولتين، وعلى أن تكون منطقة القدس وجوارها دولية. بعد أكثر من عام بقليل، في منتصف 1917، وافقت فرنسا وبريطانيا في منتجع سان جين دي موريين، على منح إيطاليا جنوب غرب الأناضول، أو المنطقة التي تعرف اليوم بأنطاليا. بذلك، وضعت الاتفاقيات الثلاث تصوراً للسلطنة العثمانية، يحصر الاستقلال العربي بمنطقة الجزيرة العربية، والاستقلال التركي بقلب الأناضول. كل البلاد العثمانية الأخرى، ستقسم بين روسيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا.

ثالثاً، لم يكن للحركة الصهيونية من دور مباشر أو غير مباشر في سايكس . بيكو، أو في مجمل اتفاقيات تقسيم ممتلكات السلطنة، ليس فقط لأن الحركة الصهيونية كانت مجرد قوة هامشية على المسرح الدولي، بل أيضاً لأن صلة ما لم توجد بين الصهاينة وأطراف التفاوض على الاتفاقيات الثلاث. كان تقسيم المشرق مشروعاً إمبريالياً بحتاً، ولد من تضارب مصالح دول الوفاق الأربع، ومحاولتها حل هذا التضارب بالطرق التفاوضية. دخول الصهاينة إلى الصورة تم بعد انتهاء المفاوضات بين سايكس وبيكو، والتوصل إلى الاتفاق؛ وقد جاء هذا الدخول بإرادة بريطانية وسعي بريطاني بحت، وليس لمهارة ونفوذ أي من القادة الصهاينة، بما في ذلك د. وايزمان، مسؤول المنظمة الصهيونية (الصغيرة، آنذاك) في بريطانيا.

كان رد فعل معظم دوائر الحكومة البريطانية على مسودة اتفاقية سايكس . بيكو سلبية، وعبر عدد من المسؤولين البريطانيين عن قناعتهم بأن الاتفاقية أعطت فرنسا أكثر مما تستحق. واحدة من أبرز ردود الفعل، كانت ملاحظات الكابتن ريغنالد هال في 12 كانون الثاني/يناير، التي اشارت إلى أن التصور الذي وضعته الاتفاقية لمنطقة فلسيطن (التي لم يكن يوجد تحديد واضح لما تعنيه جغرافياً، بعد) لا يضع في الاعتبار طموحات اليهود والحركة الصهيونية فيها. كما أن عدداً من المراسلات الأخرى، التي اجتمعت في الوقت نفسه، أشارت أيضاً لليهود والحركة الصهيونية. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يصبح فيها مارك سايكس (الكاثوليكي) على وعي بوجود حركة صهيونية بين اليهود، واهتمام هذه الحركة بمنطقة فلسطين. ولأن شعوراً ولد في لندن، وحتى قبل التوقيع على سايكس – بيكو، بضرورة البحث عن وسائل للتخلص من الالتزامات البريطانية في الاتفاقية، طلب سايكس من صديقه في الخارجية، هيو أوبريان، الذي كان يعرف وايزمان، بأن يرتب لقاء بينهما. هذه هي بداية تعرف سايكس على الحركة الصهيونية وطموحاتها.

خلال الشهور التالية، وبموافقة وزير الخارجية غراي ورئيس الحكومة أسكويث (وكلاهما لم يكن معروفاً بعواطفه الصهيونية)، واصل سايكس ما يشبه المفاوضات مع قادة الحركة الصهيونة، وعمل على تقديمهم للفرنسيين والإيطاليين، كما فتح لهم أبواب الفاتيكان. أصبح هدف سايكس والحكومة البريطانية وضع الحركة الصهيونية كرقم على طاولة بحث مستقبل المشرق، تمهيداً للتحلل من شروط الاتفاقية مع الفرنسيين وفتح الباب لإعادة التفاوض حول حدود ومصالح الدولتين.

رابعاً، كان لتطورات الحرب والوقائع على الأرض، وليس للحركة الصهيونية، الدور الرئيسي في إلغاء اتفاقيات سنوات الحرب الثلاث معاً، وإجبار كافة الأطراف على التفاوض من جديد. في ما تبقى من الدولة العثمانية، وبالرغم من سيطرة دول الوفاق على اسطنبول وأجزاء واسعة من جنوب وجنوب الأناضول الغربي، واليونان على إزمير وجوارها، اندلعت حرب استقلال كبرى منذ 1919 (حرب استقلال عثمانية، وليس تركية، كما يقول التاريخ التركي الرسمي للجمهورية، لأن تركيا لم تكن قد وجدت بعد). في بريطانيا، التي تحملت كل أعباء الحرب في المشرق، أصر رئيس الحكومة الجديد، لويد جورج، الذي تولى الحكم منذ بداية 1917، على أن سايكس . بيكو لن تنفذ كما هي. وفي روسيا، اندلعت ثورة شيوعية في تشرين الأول/اكتوبر 1917، وضعت نهاية لحكم القياصرة، وأدت إلى تخلي البلاشفة عن الاتفاقيات مع بريطانيا وفرنسا، بل ونشر محتوى تلك الاتفاقيات.

خامساً، ما انتهت إليه صورة النظام الإقليمي للمشرق، نظام بعد الحرب الأولى، كان نتاج اتفاقيات جديدة. ولدت الدول العربية، كما نعرفها اليوم، من اتفاقية سان ريمو في نيسان/ابريل 1920؛ أما تركيا الحالية، فقد فرضت عليها أولاً معاهدة سيفر، في آب/أغسطس 1920، التي تضمنت تطبيق نتائج سان ريمو على ما تبقى من الدولة العثمانية. ولكن حكومة المجلس الوطني الكبير في أنقرة، التي كانت تقود حرب الاستقلال، رفضت الاتفاقية. بعد انتصار قوات حرب الاستقلال في إزمير في صيف 1922، اجبرت دول الوفاق على التفاوض مع أنقرة، وتوصلت إلى اتفاق لوزان في تموز/يوليو 1923. ولكن الاتفاق لم يحل مسألتي الموصل والإسكندرون، التي كانت احتلت كلا منها قوات بريطانية وفرنسية بعد توقيع هدنة مدروس في تشرين الأول/اكتوبر 1918. ولأن حرب الاستقلال قامت على أساس من ميثاق وطني، أكد على استقلال وسيادة كل الأراضي العثمانية، كما كانت عشية توقيع هدنة مدروس، فقد حلت مسألة الموصل في منتصف العشرينات باستفتاء انتهى إلى بقائها ضمن العراق الجديد، وحلت مسألة الإسكندرون بإجبار الفرنسيين على الانسحاب في 1938. أما حدود تركيا الجديدة مع روسيا البلشفية، فقد رسمت، اولاً، في معاهدة بريست . ليتوفسك مع حكومة اسطنبول في آذار/مارس 1918، ثم في معاهدة موسكو مع حكومة أنقرة في نيسان/ابريل 1920. وطبقاً للاتفاقيتين، استعادت تركيا أغري وقارس وأردخان، التي كانت روسيا القيصرية احتلتها في الحرب الروسية . العثمانية في 1877 . 1878.

فما الذي يمكن استنتاجه من هذا كله؟ لم تكن إرداة الدول الكبرى حتمية، وليست كذلك اليوم. لم تكن روسيا وحسب من غرق لسنوات في حرب أهلية بعد الثورة البلشفية، ولكن كل من فرنسا وبريطانيا أيضاً خرجت من الحرب منهكة، وغير قادرة على خوض حروب جديدة. لو توفر للعرب قيادة حازمة مثل قيادة حرب الاستقلال العثمانية، لاستطاعوا كسب استقلالهم ووحدتهم من البداية. ولكن القيادة الهاشمية للحركة العربية لم تكن على مستوى طموحات العرب وآمالهم. أما المسالة الأخرى، فتتعلق بالوعي؛ ذلك أن تاريخ شعوب المشرق الحديث، حتى في لحظاته الحاسمة، مثل الحرب الأولى، خضع لتزييف واسع النطاق من الدول والحركات القومية. وربما جاء الوقت لإعادة كتابة هذا التاريخ، وإعادة بناء الوعي على أساس ما حدث فعلاً.

تم بحمد الله

****

******

***

*

Center GAZA مركز غزة للدراسات والاستراتيجيات For Studies & Strategies